تاريخ ارسال المقال:2018/12/27	تاريخ القبول:07 /2019/02	تاريخ النشر:2019/03/01

أحداث الربيع العربيّ والصراع الإيراني – السعودي

Les événements du printemps arabe et ses répercussions sur le conflit irano-saoudien

إلياس ميسوم، أستاذ مساعد قسم –أ–

كلية الحقوق والعلوم السياسية . جامعة وهران 02 محمد بن أحمد، الجزائر.

البريد الإلكتروني : ilyespoli@hotmail.com

ملخص:

لقد أحـــدث الربيـــع العربـــيّ بدون أدنى شك شرخًا كبيرًا على المستوى السّياسي، الاجتماعي، والنفسي. وبعض النظر عن هذه التحولات من حيث تأثيراتها وانعكاساتها سواءً أكانت سلبية أو ايجابية، وبغض النظر أيضًا عن تعريفنا لهذه الأحداث وأسبابها، فإنّ الشيء المؤكد أنّها أحدثت تغيُّرات جوهرية في الحالة القديمة (ما قبل الربيـــع العربـــيّ)؛ تغيُّرات لم تكن في المجمل لصالح المواطن أو الوطن العربـــيّان، لا سيما أنّها خضعت لعدة متغيّرات وضغوطات خارجية من لَدُنّا قوى إقليمية ودولية بما يتناسب طبعًا مع مصالح هذه القوى الخارجية.

ولعل أهم قوتين إقليميتين في الشرق الأوسط كانتا تسعيان لتوظيف أحداث الربيـــع العربـــيّ بما يتناسب مع مصالحهما هما: السعـــودية وإيـــــران، إذ أضحت دول الربيـــع مسرحًا جديدًا تتنافس وتتصارع ضمنه الرياض وطهران، بيد أن الصـــراع في إطار هذا المتغيّر الجديد (الربيـــع العربـــيّ) أصبح ـــ ولايزال ـــ الأشد والأشرس مقارنة بما مضى. حيث تتابع كل من إيـــــران والمملكة العربـــيّة السعـــودية التغييرات السّياسية التي حدثت في مختلف البلدان العربـــيّة بقلق شديد، وكذا تأثير هذه التغييرات على ميزان القوى بين المعسكرين المتخاصمين الإيرانـــي والسعـــودي. وتسعيان في نفس الوقت إلى التدخل وتوجيه هذه التغييرات بما يتناسب مع توجهاتهما السّياسية ومصالحهما.

الكلمات المفتاحية: أحـــداث الربيع العربـــيّ؛ الصراع؛ إيـــران؛ السعـــودية؛ الصـــراع الإيرانـــي – السعـــودي.

Résumé:

Le printemps arabe a indubitablement provoqué une grande rupture sur les plans politique, social et psychologique. Quelles que soient les transformations et leurs impact et les conséquences qui pourraient en découler et peu importe la définition de ces événements et leurs origines, l'essentiel ce qu'ils ont à posteriori apporté des changements substantiels dans l'avenir de ces nations.

Les changements en question ne profitent pas en faveur du citoyen et de la nation arabe en raison des pressions étrangères exercées par certaines puissances internationales et régionales pour préserver leurs intérêts en place

Vraisemblement l'Iran et l'Arabie Saoudite tentèrent de jouer le jeu afin d'assurer Le leadership de la région.

Donc, le printemps arabe passe pour un véritable théâtre auxquels se livrent les nouveaux acteurs Riyad et Téhéran, à de sanglants combats au détriment du pauvre citoyen divisé entre l'extrémisme des factions en guerre en subissant les pires conséquences.

Mots-clés: Événements du Printemps arabe; Conflit; Iran; Arabie Saoudite ; Conflit irano-saoudien.

مقدمة:

لا يستطيع أحد إنكار أن حِدَّة التوتر بين الرياض وطهران ارتفعت إلى مستوى غير مسبوق مع وبعد أحـــداث الربيـــع العربـــيّ لما أحدثه هذا الأخير من خلل في التوازن السّياسي والطائِفي القديم للشرق الأوسط. فقد خلط الربيـــع العربـــيّ الأوراق في المنطقة وفق معطيات جديدة لم تكن معروفة من قبل، وبدون أن ندخل متاهات وجديلة، هل هي ثورات أو لا؟ أو في دهاليز التسمية هل هو حقًا ربيـــعٌ العربـــيّ أم خريف، فوضى أو ثورة ... وغيرها من المسميات؟ ذلك أن ما يهمنا بشكل رئيسي النتائج المترتبة عن هذه الأحداث خصوصًا تلك المرتبطة بشكل مباشر بالصـــراع الإيرانـــي – السعـــودي. وارتباطًا بما تقدم، فإنّنا سوف نستعمل في هذا المضمار كلمة "**الربيـــع العربـــيّ**" لدلالة على تلك الأحداث فقط لا غير.

وعلى الرغم أن شرارة هذه الأحداث ـــ التي عرفت أوجها في سنة 2011 ـــ انطلقت بعيدةً نسبيًا عن دائرة الصـــراع الإيرانـــي – السعـــودي، إلّا أنّها بدأت بسرعة في التنقل نحو الشرق لتصل إلى الخليج والشرق الأوسط لتشمل في النهاية تقريبًا كل أرجاء العالم العربـــيّ من المحيط إلى الخليج. أين بدأ التنافس الإيرانـــي – السعـــودي مرة أخرى في الظهور بالتوازي مع هذه الأحداث والصراعات الداخلية التي اجتاحت المنطقة العربـــيّة.

لكنّ هذه المرة على خلاف المرات السابقة أصبح المنافسة والصـــراع على الهيـــمنـــة بين القوتيين الإقليميين أشد وأخطر وبشكل صريح، وقد حاول كل طرف استغلال أكثر من أيّ وقت مضى الصراعات في هذه المنطقة لصالحه، فحاول الطرفان دعم الأحزاب السّياسية المعارضة، ودعم الانقلابات، ووصل الآمر إلى غاية تمويل الجيوش وشن الضربات العسكري المباشرة ضد وكلاء الآخرين على غرار ما حصل ـــ ولايزال ـــ في سورية واليمن.

وبعد هذه التوضيحات المختصرة، فإنّنا نسعى ضمن هذه الدراسة إلى الإجابة على تساؤل مفاده: ما مكانة الربيـــع العربـــيّ باعتباره سببًا أو متغيرًا مستقلًا في دوامة الصـــراع الإيرانـــي – السعـــودي ؟ أو بعبارة أخرى كيف أثر الربيـــع العربـــيّ في حالة الصـــراع الإيرانـــي – السعـــودي ؟ ولأجل هذا الغرض قَسَمْنَا هذا البحث إلى ثلاثة (03) محاور: الأول تضمن قراءةً في مفهوم الربيـــع العربـــيّ. أمّا، الثـانـــي، فهو عبارة عن نظرة في الموقف الإيرانـــي والسعـــودي من أحـــداث الربيـــع العربـــيّ. في حين يتعاطى المحور الأخير مع أحداث الربيـــع العربـــيّ كمتغير مستقل في الصـــراع الإيرانـــي – السعـــودي، بينما جاءت الخاتمة كعبارة عن استنتاجات ونتائج تتعلق بالحالة محل الدراسة. أمّا، فيما يخص المناهج المستخدمة في هذه الدراسة، فقد اقتصرت على أربعة (04) مناهج أساسية، ويتعلق الأمر بكل من: المنهج الوصفي؛ المنهج الاستقرائي؛ منهج دراسة الحالة؛ والمنهج المقارن. كما لا ننسى أن نشير إلى استعانتنا ببعض الأعمال الرائدة في مجال التنظير والكتابة حول الثورة والحركات الاجتماعية.

المحور الأول: الربيـــع العربـــيّ قـــراءة فـــي المفهوم

إنّ مصطلح الربيـــع العربـــيّ يعد واحدًا من بين العديد من العبارات الشائعة في وصف تلك الأحداث التي اجتاحت العالم العربـــيّ ابتداءً من نهاية سنة 2010. ومثل العديد من هذه الأوصاف، فإنّ استخدامها لا يخلو من الجدل هذا من جهة.

من جهة ثانية، تعد دراسة الربيـــع العربـــيّ ـــ بغض النظر عن الوصف ـــ أمرًا عسيرًا لما تخلقه من الارتباك والتشويش عند أيّ باحث نظرًا لأنّ الربيـــع العربـــيّ لم يحظى كحدثٍ وظاهرة أولًا ثم كمفهوم باتفاق عند الناس سواءً كانوا عربًا أو أجانب، مواطنين عاديين أو سّياسيين أو باحثين ومثقفين...، فكل واحد من هؤلاء له رأي، موقف، وتحليل، وكذا تعريف لهذا الحدث التاريخي الذي لم يُغيير فقط بعض الأنظمة السّياسية، وإنّما غيّر كذلك من سيكولوجية الفرد والمواطن. إنّ هذا الاختلاف في القراءات والتحليلات لما حدث يعبر لنا في الحقيقة عن تعدد للمواقف إزاء الربيـــع العربـــيّ، تعدد لكل واحد منه أسبابه ودوافعه، بيد أن الأكيد وغير المختلف حوله أن الربيـــع العربـــيّ أحدث شرخًا كبيرًا على مستوى العالم العربـــيّ.

ويمكن تعريف الربيـــع العربـــيّ بشكل عام بتلك الأحداث التاريخية وسلسلة الاحتجاجات والانتفاضات والحركات المسلحة المناهضة للحكومات والأنظمة السّياسية التي انتشرت في بعض أقطار العالم العربـــيّ مع نهاية 2010، عندما أقدم أحد الشباب التونسيين (محمد البوعزيزي) في ولاية سيدي بوزيد على إحراق نفسه احتجاجًا على الظلم المسلط عليه من طرق قوات الشرطة يوم 17 ديسمبر 2010، ثم انتقلت إلى مصر، فليبيا، اليمن، البحرين، وسورية. كما يمكننا التعاطي مع الربيـــع العربـــيّ باعتباره حدثًا من منطلقين (02) أساسين ينتج عنهما مجموعة من التقسيمات، المنطلق الأول يتعلق بسلمية الأحداث من عدمها، وهنا يمكننا وضع كل من تونس، الدولة التي انطلقت منها شرارة الربيـــع، ومصر ضمن الأحداث أو الثورات السلمية وغير العنيفة.

وفي المقابل، تندرج كل من ليبيا، اليمن، وسورية في إطار الثورات العنيفة والمسلحة. أمّا المنطلق الثـانـــي فيتعلق بنجاح هذه الأحداث في الإطاحة بالأنظمة السّياسية، وهنا نجد تونس ومصر اللتان استطاعت التظاهرات

الشعبية في كلتا البلدين تغيير رأس النـظام، وأيضًا، ليبيا، اليمن. أمّا الأحداث التي فشلت في مبتغاها فكانت في البحرين وسورية لحد الآن.

إنّ الحراك العربـيّ بلا شك غيّر الكثير من معطيات المشهد السّياسي وتوزيع السلطة السّياسية وتوازنات القوى وكذا القيم والثقافة السّياسية في المشهد العربـيّ. وكان سقوط أنظمة وقيام أخرى مكانها فضلًا عن ظهور نُخب جديدة وصعودها إلى السلطة أبرز التغييرات الظاهرة للعيان، بيد أنّه من المبكر جدًا ـــ حسب المفكر المغربي **عبد الإله بلقزيز** ـــ الحكم على ما جرى من تحولات عربـيّة، ذلك أن سياقاتها مازالت ممتدة وتداعياتها متفاعلة [1]. ناهيك عن إطلاق عليها اسم ثورة يتطلب إحداث تغيُّرات جذرية على مستوى النـظام الاجتماعي والاقتصادي وليس النـظام السّياسي فقط. أمّا المفكر المصري **سمير أمين**، فتعتبر ـــ على الأقل ما حصل في مصر ـــ أكثر من مجرد انتفاضة أو احتجاج يعود بعدها المجتمع إلى ما كان عليه من قبل، لكنّه في نفس الوقت أقل من أن نسميه ثورة [2]. في حين يرى **هاشم صالح** أن الربيـع العربـيّ لا يمكن اعتباره حدثًا تاريخيًا ذلك أنّه لا تنطبق عليه خصائص الحدث التاريخي بالمفهوم والمعنى الحصري للكلمة، حيث أن أهم خصائص الحدث التاريخي هو تبلك النقلة النوعية في حياة الناس والمجتمعات من حالة سيّئ إلى وضع أفضل[3].

وفي المقابل، يعتقد المفكر اللبناني **علي حرب** أحـداث الربيـع العربـيّ هي بحق ثورات حقيقية متعددة تجري في غير بلد عربـيّ، وفي نفس الوقت تتأثر هذه الثورات المتعددة ببعضها البعض سواءً بالسلب أو الإيجاب [4]. أمّا الباحث في علم الاجتماع **جيمس بتراس (James Petras)**، فيعتقد أن بداية ما يسميه الحركات الجماهيرية الثورية كانت بشكل تلقائي بعيدة كل البعد عن نظرية المؤامرة، لكنّ في المقابل كانت هذه الحركات العفوية رغم كل القدرة على الحشد والتعبئة لعدد كبيرة من الناس في وقت ومكان واحد تفتقر لقيادة وتنظيم سّياسيان مما جعلها أولًا لا تحقق ثورتها بالشكل الحقيقي، وثـانـيًا تتعرض للاختراق و التحكم من طرف جهات غير ثورية بالأساس [5].

وارتباطًا بما تقدم، يمكننا القول أنّه ثمة اختلافات وتناقضات حول مفهوم الربيـع العربـيّ من طرف مختلف المفكرين والباحثين بين رافضٍ له وبين مؤيد له، بيد أن ما لا يمكن انكاره أو تجاهله حول هذه الأحـداث أنّها تعد مرحلة حاسمة وتاريخية في تاريخ الدول العربـيّة، وفي نفس الوقت ذات عواقب سّياسية واقتصادية وجيوستراتيجية بعيدة المدى، إذ يتطلب محو ونسيان أثار أحـداث الربيـع العربـيّ الكثير من الوقت والصبر.

المحور الثـانـي: الموقف الإيرانـي – السعـودي من أحـداث الربيـع العربـيّ

أولًا: الموقف الإيرانـي من أحـداث الربيـع العربـيّ

لطالما كانت إيـران الخمينية تراودها أحلام تغيّر بعض الأنظمة العربـيّة الحليف للغرب، وكانت دائمًا تنشد تصدير ثورتها خارج حدودها باعتبار الثورة الخمينية ثورة أممية تنشد الخلاص لكل مستضعفي الأرض، لذا كان من الطبيعي جدًا أن تقف القيادة السّياسية الإيرانـية إلى جانب ما سمي بالثورات العربـيّة بشكل مبكر بعدما وصفتها بالصحوة الإسلامية التي استلهمت حراكها السّياسي من الثورة الخمينية على حد قول المرشد الأعلى علي خامنئي في خطبة الجمعة يوم: 04 فبراير 2011. كما أعربت طهران عن استعدادها لدعم

الشعوب المنتفضة من أجل بناء أنظمة سّياسية بدلية[6]. الهدف من كل هذا أمريين، الأول فلسفي- إيديولوجي من خلال نصرة المستضعفين وكسر شكوة المستبدين والمتكبرين، أمّا الثـانـــي فهو الأكثر واقعية من حيث تغيير الوضع السائد في الشرق الأوسط عبر إضعاف السعـــودية وحلفائها.

وبالتّالي، إضعاف نفوذ الولايات المتحدة في المنطقة، أين تعارض إيـــران النـــظام الإقليمـــي الذي ـــ كما أشرنا سلفًا ـــ تقوده الولايات المتحدة ومن تعتبرهم عملائها الإقليميين، لا سيما إسرائيل والمملكة العربـــيّة السعـــودية. ذلك أن تقويض هذا النـــظام الإقليمـــي "الاستغلالي" من خلال إضعاف حلفاء الولايات المتحدة أو رحيلهم هو في نفس الوقت ضربة قاسية للولايات المتحدة من المنطقة. ناهيك أن هذا الأمر يعد شرطًا مسبقًا لا عنى عنه في مشروع الهيـــمنـــة الإقليمية الإيرانـــية [7]. غير أنّه يمكن الافتراض أيضًا أنّ إيـــران لم تكن ترغب في ثورات عربـــيّة في هذا التوقيت بالذات، لكنّ الأمر الواقع فرض عليها اتخاذ موقف منها، السبب الذي يخول لنا القول بهذا الافتراض يرجع إلى وضع طهران الداخلي في تلك الفترة نتيجة الضغوطات الغربية تجاه ملفها النووي وتداعياتها على الاقتصاد الإيرانـــي، إضافة إلى ما صاحب انتخاب الرئيس نجاد (العهدة الثـانـــية) من احتجاجات داخلية فيما عرف بالحركة الخضراء أو الثورة الخضراء، لذا فإنّها كان ترغب في استقرار أكثر للمنطقة حتّى يتسنى لها ترتيب أوراقها بكل هدوء، لكنّ تجري الرياح بما لا تشتهي السفن، فقد شكل الربيـــع العربـــيّ صدمة للعالم ودول المنطقة ككل ومنها إيـــران التي لم تتوقع حدوث الثورات (الاحتجاجات) العربـــيّة، ما جعل التقديرات والسيناريوهات الاستراتيجية مفتوحة على كل الاحتمالات[8].

رغم هذا، فقد اتسم الموقف الإيرانـــي على غرار الموقف السعـــودي كما سنرى لاحقًا بتناقض واضح حيال ما حصل في المنطقة العربـــيّة، فمن جهة تزعم أنّها تؤيد ثورات الربيـــع العربـــيّة لأنّ الجمهورية الإسلامية الإيرانـــية كانت سباقةً في هذا الأمر من خلال ثورتها الشعبية ضد الشاه التي خلصتها من براثن الاستبداد والظلم وهيـــمنـــة القوى الإمبريالية، لكنّ من جهة أخرى يتناقض هذا الأمر مع الموقف الإيرانـــي من الأحداث السورية، ودعمها المستميت لنظام بشار الأسد الذي بدون شك ليس ديمقراطيًا.

وعلى هذا، ورغم أن إيـــران كانت من أوائل القوى الإقليمية في الشرق الأوسط التي رحبت بما يمكن تسميته الموجات الأولى للربيـــع العربـــيّ إلّا أن موقفها تغيير تدريجيًا عندما امتدت الأحداث إلى حلفاءها في الإقليم والمنطقة، أين أصبحت من أكثر الأصوات المروج لنظرية المؤامرة حيث أعبرت الأحداث السورية مؤامرة دولية ضدها من تم وجب عليها التدخل بكل قوتها لمنعها. وعلى هذا الأساس، لا يمكن الحديث عن موقف إيرانـــي واحد إنّما مواقف مزدوج يحمل في الآن نفس مزيجًا التأييد والرفض لهذه الأحداث

ويشير الموقف العام لإيـــران من أحداث الربيـــع العربـــيّ إلى أنّها ساندت بشكل واضح ما وقع في تونس، مصر، البحرين، واليمن، ومع أنّ الكثير من هذه الدول التي حصل فيها الربيـــع العربـــيّ من الناحية الاستراتيجية (العمق الاستراتيجي) لا تدخل في الدائرة الأولى ـــ عدا البحرين ـــ للعلاقات الإيرانـــية أي دائرة دول الخليج العربـــيّ- الفارســـي (التماس المباشر). وفي نفس الوقت رفضت الأحداث الواقعة في سورية، حيث وصفتها بأنّها شأنٌ داخلي وأيدت إجراءات النـــظام السوري الصارمة في التعامل معها. ثم ما لبثت أن رأت ما

يحدث في سورية عبارة عن مؤامرة دولية على حلفائها وكل القوى المقاومة في المنطقة، أين كان إيـــران ضد السماح بتدخل القوى الغربية في الشأن السوري وعدم السماح بتكرار التجربة الليبية في سورية، ذلك أن مثل هذه الخطوة الخطيرة حسبها سينجم عنها نهاية وتفكك للدولة السورية.

ومع بداية أحداث العربـــيّ بدأ الحديث في إيـــران عن بعض المكاسب من هذه الوقائع لعل أهمها كان توجيه اهتمام المجتمع والرأي العام الدوليين بعيدًا عن أزمة الملف النووي الإيرانـــي وكسب مزيد من الوقت بغية التفاوض في أحسن الظروف سواءً لمواجهة الصعوبات التكنولوجية التي تعرض لها البرنامج النووي الإيرانـــي في تلك الفترة، مثل: فيروس ستوكسنت (Stuxnet)، هذا الأخير حسب أحد الخبراء الألمان أعاد المشروع النووي الإيرانـــي سنتين إلى الوراء، أو لتحقيق أكبر قدر من التقدم في عمليات تخصيب اليورانيوم، حيث كان لافتًا نجاح إيـــران منذ فبراير 2011 ـــ خلال ذروة اشتعال الثورتين المصرية والتونسية ـــ في زيادة مخزونها من اليورانيوم المخصب بنسبة 3.5% بمقدار 500 كيلو جرام من 3600 كيلو جرام إلى 4100 كيلو جرام. هذا إضافة إلى تقليص حالة الأهمية والزخم التي حظيت بها الحركة الخضراء، وهو ما منح الفرصة للسلطات الإيرانـــية لتضييق الخناق على هذه الحركة وقادتها، كما نجحت أيضًا في الاستفادة من الزيادة الملحوظة في أسعار النِّفط خصوصًا بعد أحداث ليبيا والبحرين [9].

لكنّ بعد مرور الوقت تبين أن إيـــران لم تحصد من الربيـــع العربـــيّ أيّة ثمار رغم دعواتها المتكررة على لسان مرشدها بطرد المستبدين الذين يشكلون عقبة بين الشعب وبين الإسلام الحقيقي، بيد أن هاته الدعوات لم تلقى صدى في العالم العربـــيّ عمومًا، فقد كان الإخوان المسلمين الذين تولوا السلطة في مصر بعد حسني مبارك في كل مرة يذكرون أنّ ثورة 25 يناير هي ثورة شعب بكل أطيافه ومعتقداته ولا مكانة فيها للأيدي الخارجية، نفس الحالة بالنسبة لإسلامي تونس الممثلين في حركة النهضة التي تحاشى قادتها أيّة علاقة مشبوه مع إيـــران قد تجعلهم يخسرون أكثر مما يربحون، بينما لم تلعب إيـــران في ليبيا بلد القذافي أيّ دور يذكر، في حين أن مساندتها للطائِفية الشِّيعية في البحرين واليمن كانت لها نتائج عكسية، فقد سمحت للقوات السعـــودية في الأولى بالتدخل العسكري فيها ودعم حلفائها (آل خليفة) أكثر أمّا في الثاني فقد دخل دوامة من الفوضى وتدخلت فيه القوات العسكرية السعـــودية أيضًا.

بينما تبقى الحالة السورية الأكثر تعقيدًا، والتي تلعب فيها طهران دورًا مهمًا واستراتيجيًا، باعتبار النـــظام السوري أهم حليف لها في الشرق الأوسط، إضافة إلى اليمن لكنّ بدرجة أقل. ويعود السبب في إصرار طهران على بقاء النـــظام السوري أو بالأصح نظام حليف لها وتثق فيه لأسباب جيوستراتيجية بدرجة أولى على عكس التحليلات التي تعتقد أن سبب المساندة يعود لأسباب طائِفية باعتبار النـــظام السوري نظامًا علويًا شِّيعيًا، حيث أن سورية كموقع جغرافي تمثل أهمية في الفكر الجيوستراتيجية الإيرانـــي كونها تخدم استراتيجية طهران بالمنطقة إذ تشكل الرابط الحيوي بينها وحزب الله، كما تؤمّن لها الدفاع عن ممرّات عبور السلاح إلى حزب الله والتصدي للمحور الإقليمـــي العربـــيّ (الاعتدال) الذي تتزعمه السعـــودية، الذي يهدف إلى احتواء القوة الجيوسّياسية

المتزايدة لإيـــران من ناحية أخرى [10]. أمّا التحليل الطائِفي القائم على التآزر الشّيعي- الشّيعي فإنّه من ناحية عقائدية وفقهية لا يستقيم إذا ما أطلعنا على الموقف الدّيني الاثنا عشري من النُصيرية.

وعليه، فسورية جيوستراتيجيًا أمرٌ حاسمًا بالنسبة لإيـــران وغير قابل للتفاوض ولن تتراجع عن دعمها للنـــظام الأسدي. أين يعد التدخل الإيرانـــي في سورية من جهة نظر إيرانـــية بمثابة الحرب الاستباقية التي تخوضها طهران ضد أعدائها، حيث يعتقد المسؤولون الإيرانـــيون أن سقوط دمشق يعني أن طهران ستكون التّالية، وعلى هذا الأساس، رمت إيـــران بكامل ثقالها في الأزمة السورية حيث تعتبرها مسألة حياة أو موت للنـــظام الإسلامي، إنّ هذا الإصرار الإيرانـــي على سورية في الحقيقة يعد أكثر القضايا التي يتصارع عليها الإيرانـــيون والسعـــوديون إذ أن مستقبل العلاقات الإيرانـــية – السعـــودية والمنطقة مرتبط بشكل كبير بما تؤل إليه المسألة السورية ومصير بشار الأسد.

ومما يزيد من تعقد الحالة السورية أنّها بالإضافة إلى كونّها أصبحت ساحة للصـــراع والحرب بالوكالة بين السعـــوديين والإيرانـــيين، فإنّها فوق هذا تحولت إلى مستنقع خطيرة للتجييش الطائِفي والمزيد من التمزق في العلاقات السُّنَية- الشّيعية [11]. ناهيك عن تحول سورية لحلبة للصـــراع الدولي ما يعزز المزيد من الاختراق والتغلغل للنـــظام الإقليمـــي الشرق أوسطي وكذا تنامي التطرف والجماعات الأصولية.

ثـــانـــيًا: الموقف السعـــودي من أحـــداث الربيـــع العربـــيّ

تعد السعـــودية دولة محافظةً بكل ما تحمل الكلمة من بمعنى وهي لا تحبذ التغيّر بالمرة. وعليه، فرضت هذه الخصائص البنيوية التي يتمتع بها النـــظام السعـــودي اتخذت مواقف ـــ في بداية أحـــداث الربيـــع العربـــيّ ـــ مناهضة للثورات كافة بما فيها الثورة ضد نظام خضم كنـــظام القذافي في ليبيا، حيث عارضت طريقة التغيير بالاحتجاج الشعبي، فعندما أقدم محمد البوعزيزي على حرق نفسه في: 07 ديسمبر 2010 جاء رد المملكة سريعًا ومتوقعًا عبر مؤسستها الدِّينية الوّهَابيّة الرسمية التي أصدرت فتوى تحرم قتل النفس بوصفه إثمًا عظيمًا، كما وصفت التظاهرات بالأفعال الخطيرة والخارج عن الإسلام[12]، وفي نفس الوقت، شجعت المملكة ماليًا وسّياسيًا وجود أنظمة حكم سلطويّة، ورأت بمعية الملكيات الخليجية فيما بعد أنّ الثورات العربـــيّة تخص الأنظمة الجمهورية دون سواها لأنّ الأنظمة الملكية الوراثية تتمتع بشرعية تجعلها بمنأى عن رياح التغيير[13].

لكنّ بعدما أصبحت هذه الأحداث أمرًا واقعًا تغيير الموقف السعـــودي نسبيًا من الثورات حسب الظروف والمصالح، أين لعبت المملكة العربـــيّة السعـــودية دورًا غير مسبوق كدولة تدخلية في جميع أنحاء الربيـــع العربـــيّ فقد اتجه النـــظام السعـــودي إلى دعم حلفائه بمختلف الأشكال والوسائل حيث تدخل عسكريًا في البحرين لإجهاض الأحداث وقادت حلفًا عسكريًا في اليمن، وفي سورية والتي تعد أخطر حلبات الصـــراع الإقليمـــي فسعت إلى إسقاط النـــظام بشتى الوسائل والطرق.

حقيقةً أنّ المملكة استطاعت أن تمنع حدوث ربيـــع عربـــيّ في عقر دارها وأنّ تمنعه في دول مجلس التعاون كما كان الحال مع البحرين، وهذا انتصار في حد ذاته للإرادة السعـــودية لكنّها خسرت الكثير أيضًا بفقدان أهم حلفائها في المنطقة، ويمكن تفسير الموقف السعـــودي الرافض بشكل عام لأيّة عملية تغيير بعاملين

(02) أساسين، **أولها**: الولع الشديدة بالحفاظ على الوضع الراهن الموجود لدى القيادة السعـــودية، و**ثـــانـــيها**: محاولة إضعاف إيـــران. والحال، أن القيادة السعـــودية قد استخدمت لهذا الآمر خططًا واستراتيجيات شتى داخليًا وخارجيًا إزاء ثورات الربيـــع العربـــيّ، ففي الداخل السعـــودي كانت المكافآت المالية والاقتصادية سيدة الموقف والعلامة البارزة وصاحبها بالتوازي خطاب دِّيني وّهَابيّ يؤكد على ضرورة طاعة ولي الأمر وتحريم الخروج عليه، إضافة طبعًا إلى الإجراءات الأمنية المشددة من أجل إسكات الاحتجاجات لا سيما تلك التي حدث في شرق السعـــودية بمحاذات البحرين. أمّا خارجيًا، وهو الأهم، فسعى النـــظام السعـــودي إلى نشر ثلاث (03) خطط: **أولًا**: احتواء الانتفاضات في تونس ومصر وليبيا. **ثـــانـــيًا**: مواجهة الانتفاضات في البحرين واليمن. **وثـــالـــثًا**: دعم الاحتجاجات في سورية [14]. وتعد هذه الأخيرة لحد الساعد أهم ساحات الصـــراع الإيرانـــي – السعـــودي.

وعلى الرغم أن السوريين كان لهم دورٌ بارز في المملكة العربـــيّة السعـــودية ذلك أن الملك عبد العزيز قرب منه العديد منهم، بيد أن العلاقات السعـــودية –السورية بشكل خاص والعلاقات الخليجية –السورية عمومًا بدأت تدخل في مرحلة التوتر أثناء الحرب العراقية –الإيرانية نتيجة الموقف السوري المساند لإيـــران في الحرب والمعاكس في نفس الوقت لموقف دول الخليج العربـــيّة. هذا الاختلاف في الرؤية وفي العمل السّياسي كما يقول وزير خارجية سورية **عبد الحليم خدام** :"**أحدث خللًا في العلاقات السورية –الخليجية بشكل عام والسعودية على وجه التحديد باعتبارها تتزعم الرؤية الخليجية**" [15].

والحقيقة، أن سورية حسب المنظور السعـــودي لم تكتفي بالاصطفاف مع إيـــران أيام حرب الخليج الأولى، بل سهلت أيضًا إنشاء حزب الله اللبناني بعد غزو إسرائيل للبنان عام 1982. وقد أدى نفوذ حزب الله بشكل مطرد منذ ذلك الحين إلى تغيير التوازن السّياسي بين الشّيعة والسُّنّة في لبنان بطرق أضعفت من النفوذ السعودي في لبنان. كما كانت المملكة العربـــيّة السعـــودية غير مرتاحة إزاء التعاون السوري– الإيرانـــي الموجه لنقل الأسلحة والصواريخ لحزب الله التي ساهمت في كسب وحزب الله الحرب ضد إسرائيل في عام 2006، ما عزز في النهاية موقف إيـــران عربـــيًا بعدما تحولت لأكبر مدافع عن القضية الفلسطينية وفي نفس الوقت أشد خصوم الكيان الصهيوني

إنّ الثورة السورية كما يحلو للسعـــوديين وصفها تعبر في الواقع عن مدى التناقض في الموقف السعـــودي حيال أحداث العربـــيّ، إذ نجد الرياض داعمًا قويًا للثورة ماديًا ومعنويًا، أكيد ليس لأنّ السعـــودية دولة ديمقراطية أو حاملة لشعارات الحرية والعدالة، بل لأنّ السعـــودية التي صادقت القيادة والنـــظام السوريان سابقًا ودعمتهما ماديًا لكنّها ما لبثت أن غيّرت موقفها إلى العداوة الصريحة بسبب العلاقة الحميمة التي تربط القادة السوريين مع إيـــران، فالسعـــودية تطمح من خلال دعم التغيير في سورية إلى هزيمة إيـــران في المنطقة وحليفها حزب الله[16]، ما يعني أن دعم المتمردين السوريين مدفوعٌ برغبة الرياض الجامحة في سلب إيـــران واحدةً من حلفائها العرب القلائل.

والجدير بالإشارة، أن الموقف السعـــودي أيام بداية الأحداث في سورية منتصف شهر مارس 2011 في مدينة درعا كان موقفه مترددًا، حيث اتصل هاتفيًا الملك عبد الله بالرئيس بشار الأسد للتعبير عن دعم المملكة في مواجهة المكائد التي تستهدف أمن واستقرار سورية ثم أعادة الاتصال به مرة أخرى بيد أن مع بداية شهر أوت من نفس السنة حصل الانقلاب في الموقف السعـــودي حيث أستدعي السفير السعـــودي لإجراء مشاورات وألقى الملك خطابًا دعا فيه إلى إيقاف آلة القتل [17]، واستطاعت المملكة أن تلعب دورًا مهمًا في مسار الأحداث وفي تأجيج حالة الاحتقان من خلال آلتها الدعائية ومؤسستها الدِّينية ناهيك عن دعمها للسلفيين الوّهَابيّين في سورية على غرار ما فعلته مع سلفي مصر بعد مبارك عبر المبالغ المالية الضخمة التي كانت تدفع لهم. وكان البارز في هذا الأمر الدور الذي لعبه الشيخ الوّهَابيّ **عدنان العرعور** في الدعوات إلى الاحتجاج ضد النـــظام في سورية وإطلاقه الشعارات الطائِفية.

إنّ أحـــداث الربيـــع العربـــيّ وما نتج عنها من تساقط لبعض الأنظمة كان بمثابة الانتكاسة بالنسبة للسعـــوديين الذين فقدوا أهم حلفائهم في معركتهم ضد إيـــران، أمّا فوائد السعـــودية من الربيـــع العربـــيّ فقد أتاح لها تعميق علاقاتها أكثر مع القوى المحافظة في العالم العربـــيّ، حيث دعمت بقوة القوى المضادة للتغيير، كما تمكنت من زيادة التنسيق العسكري مع القوى النووية بالتحديد مع باكستان، إضافة الى توسع العلاقة مع الصين، ومن المفارقات أيضًا أنّها اقتربت أكثر من إسرائيل التي تتقاسم معها نفس الرؤى والهواجس حول النووي الإيرانـــي [18]. كما أتاح سياق ما بعد الربيـــع العربـــيّ فرصة سانحة للمملكة العربـــيّة السعـــودية لتغيير صورتها في المنطقة باعتبارها دولة لا تكتفي باستخدام البترودولار (دبلوماسية الشيكات) فحسب في سّياستها الخارجية، بل أيضًا القوة الصلبة. وتكشف تدخلاتهم العسكرية في البحرين وبعده اليمن مدى العسكرة التي أصبحت تميّز سّياساتها الخارجية.

المحور الثـــالـــث: الربيـــع العربـــيّ كمتغيّر فـــي الصـــراع الإيرانـــي – السعـــودي

يعد جوهر الخلاف الإيرانـــي – السعـــودي المتعلق بملف الربيـــع العربـــيّ مرتبطًا بشكل رئيسي بالنتائج المتمخضة عنه والتي وإنّ لم تنته بعد غير أن تداعياتها المباشرة كما نعلم تبلورت في انفراط عقدة النـــظام الإقليمـــي العربـــيّ والشرق الأوسطي القديم بكل ما يحمله من تحالفات ورؤى مشتركة ضد أو مع إيـــران فيما كان يعرف بمحور الاعتدال ومحور المقاومة، حيث غيّرت هذه الأحداث غير المتوقعة الخارطة السّياسية للشرق الأوسط وجعلت الغريمين في حالة من الدهشة على مستقبلهما، فقد كان نمط التحالفات القديم يضمن لكل طرف هامشًا مهمًا من التأثير والمناورة.

وعلى هذا الأساس، يعتقد كل طرف أن إعادة رسم الخارطة السّياسية وتوجهاتها في الشرق الأوسط بما لا يتواقف مع طموحاته وتصوراته يشكل خطر على النـــظام لا يمكن السكوت عنه. لهذا، فكل طرف لا يتحرج من استعمال كل الوسائل وكل الطرق للحفاظ على الوضع التي يتناسب معه. وفي نفس الوقت تغيّر أو دعم التغيّر في مناطق الخصم. هذا التناقض الواضح يطرح دلالة مهمة مفادها أن إيـــران تنظر إلى تطورات الإقليم بمنطق الدولة التي تعي مصالحها وليس الثورة التي تلتزم بسقف أيديولوجي. ذلك لا يعني أن إيـــران استبعدت

أيديولوجيتها في تعاملها مع تطورات محيطها الخارجي، بل إنّها تستدعيها في كثير من الأحيان لكنّ عندما تكون منسجمةً مع مصالحها [19]. نفس الحال تقريبًا ينطبق على السعـــودية التي تولي اهتمام هي الأخرى للاعتبارات السّياسية والمصلحية على حساب الإيديولوجية الإسلامية التي تتبناها.

لقد مثل سقوط الرئيس التونسي زين العابدين بن علي الذي حكم لأزيد من 23 سنة، الذي استضافته السعـــودية بعد هروبه من قصر قرطاج صدمة لهم، بيد أن هذه الصدمة تعتبر غير مؤثرة مقارنة بما حصل في مصر. حيث كانت أول المعارك الحقيقية بين الغرمين على مصير النـــظام المصري، وقد شكل سقوط نظام حسني مبارك (1981 – 2011) خسارة وضربة موجعة للسعـــوديين، بينما كان هذا بمثابة انتصار للإيرانـــيين الذين تخلصوا من أكبر عائق كان لهم، أين تعد مصر الدولة الوحيدة التي لم تبعث علاقاتها الدبلوماسية مع طهران منذ قطع العلاقات بين البلدين، عندما قرر آية الله الخميني قطع العلاقات الدبلوماسية مع مصر إثر توقيع اتفاقية كامب ديفيد مع الكيان الصهيوني، واستضاف مصر لشاه إيـــران محمد رضا بهلوي. ناهيك عن حجم هذه الدولة وتاريخها ومكانتها كأكبر دولة عربـــيّة في الشرق الأوسط والتي تفاوضت باسم العرب لعدة عقود خلت.

كانت المملكة من الدول القليلة التي أبدت علنًا وبدون خجل تأييدها المطلق لنظام حسني مبارك، حتّى أنّها في هذا المسعى تحدت أكبر حليف لها في العالم، وحسب **هيو تومليسون (Hugh Tomlinson)**، فقد هددت السعـــودية بدعم الرئيس مبارك إذا حاول البيت الأبيض فرض تغيّر سريع للنظام في مصر. كما صرح مصدر سعـــودي رفيع المستوى آنذاك **لصحيفة تايمز(THE NEW YORK TIMES)**: "**أن مبارك والملك عبد الله ليسا حليفين فقط بل هما صديقين مقربين، ولن يصمت الملك عند رؤية صديقه يتم تنحيته جانبًا وإهانته**" [20]. بيد أن سقوط نظام بمبارك بعد تنحيه عن الحكم في 11 فبراير 2011 ، إضافة إلى النتائج المترتبة عنها والمتمثلة في الصعود السّياسي لما عرف بالإسلام الحركي أو السّياسي وفي مقدمته حركة الإخوان المسلمين جعل البيئة السّياسية والأمنية في السعـــودية تصاب بمخاوف تقوم على احتمال أن يتم في مرحلة من المراحل أن يقوم تعاون بين مصر تحت حكم الإخوان وإيـــران [21]، خصوصًا أن علاقات تاريخية وفكرية تجمع الطرفين.

لقد ظلت مصر بمكانتها الإقليمية لعدة عقود حصنًا منيعًا عن إيـــران، وفي نفس الوقت أهم حلفاء السعـــودية، لكنّ بعد تولي الرئيس الإخواني محمد مرسي الحكم بدأت بوادر التحسن بين طهران والقاهرة، أين قام مرسي بزيارة لإيـــران في نهاية عام 2012 لحضور قمة عدم الانحياز، وفي أبريل 2013 قام الرئيس الإيرانـــي أحمدي نجاد بزيارة لمصر لحضور القمة الإسلامية في القاهرة. لهذا، كانت الرياض ضد حكم الإخوان في مصر وساهمت بشكل كبير في إسقاطه واعتبرت حركة الإخوان المسلمين حركة إرهابية.

بيد أنّ هذه الخطوة السعـــودية كانت إيذانًا بتصدع البيت الداخلي الخليجي أو كما كان يسمى مجلس التعاون الخليجي، من خلال تضيق الخناق على قطر عاصمة القيادات الإخوانية والداعم لهم، إضافة إلى زيادة التوتر مع تركيا الأردوغانية، وفي المقابل، استفادت إيـــران من هذا الأمر على مستوى الحلف السُّنّي من خلال تدعيم مركزها وعلاقاتها مع قطر ما يعني زعزعة منظومة المشايخ الخليجية، ومع تركيا، بينما سعت السعـــودية إلى ايجاد حلفاء جدد أو بالأصح التقرب من حلفاء إيـــران في العراق، حيث قدمت السعـــودية ـــ عبر ولي العهد

محمد بن سلمان ـــ دعوة رسمية للزعيم الشّيعي العراقي مقتدى الصدر لزيارتها التي تمت في 30 يوليو 2017، كما قام الملك سلمان في أكتوبر 2017 بزيارة إلى روسيا هي الأول من نوعها في تاريخ البلدين.

أمّا الثورة اليمنية، فقد بدأت بمظاهرة صغيرة يوم 16 يناير 2011، عندما تجمهر أقل من ثلاثين متظاهرًا أمام جامعة صنعاء تدعو لاستقالة الرئيس علي عبد الله صالح. وقادة هذا الاحتجاج الناشطة الفائزة بجائزة نوبل للسلام توكل كرمان. وكان القبض على كرمان بعد بضعة أيام إنذارًا بمزيد من الاحتجاجات مطالبين بالإفراج عنها[22]، ثم بإسقاط النـــظام. وقد شكّل خروج الرئيس اليمني علي عبد الله صالح من الحكم يوم 25 فبراير 2012، وما حمل من اضطرابات على الحدود السعـــودية ثاني مواقع المواجهة غير المباشرة بين الرياض وطهران، ففي مارس 2015 فرض الوضع المضطرب في اليمن على المملكة العربـيّة السعـــودية شن عملية عسكرية وحملة غارات جوية (عاصفة الحزم) تحت قيادتها متكونة من تحالف من عدة دول عربـيّة وغير عربـيّة ضد متمردين من الحوثيين الشّيعة (الزيدية) ـــ الذين تمكون من السيطرة على أجزاء أكبر من البلاد منذ عام 2004 ـــ والقوات المتحالفة معها التابعة للرئيس اليمني السابق علي عبد الله صالح بهدف إعادة نـــظام الرئيس عبد ربه منصور هادي إلى صنعاء. وتعتمد المملكة في مسعاها هذا في المقام الأول على دول الخليج السُّنّية مثل الإمارات العربـيّة المتحدة والكويت. أين تدعم الرياض بلا هوادة حرب الحكومة ضد المتمردين الحوثيين، الذين بدورهم يلقون الدعم والتسليح من قبل طهران.

وإلى غاية اليوم مازالت المعركة بين الحوثيين والسعـــوديين لم تحسم بعد. على الرغم أن السعـــوديين حققوا شبه انتصار في البداية عندما استطاعوا إرغام الرئيس علي عبد صالح على الاستقالة وتكوين سلطة انتقالية بقيت حتّى الآن تدين لهم بالولاء [23]. إلّا أنّ الأمور أفلت من يدهم رغم كل الجهود المبذولة والأموال المصروف في هذه الحرب ضد ما تسميه السعـــودية بأذرع إيـــران، ومازالت المملكة الى غاية وبعد عدة سنوات من الحرب لم تتمكن من وضع حد لحالة عدم الاستقرار في اليمن، ناهيك أنّها تتعرض بين الفينة والأخرى لهجمات صاروخية مصدرها من اليمن. بيد أنّه يمكن تفسير التدخل العسكري السعـــودي في اليمن فيما سمي بعاصفة الحزم بعاملين، إذا أخذنا بعين الاعتبار العقيد العسكرية السعـــودية التي تحبذ الدفاع أكثر، أولًا عامل شخصي وداخلي مرتبط بصـــراع الأجنحة وكسب النفوذ داخل البيت السعـــودي بين محمد بن سلمان ومحمد بن نايف، ثـــانـــيًا، عامل متعلق بالسّياسة الأمريكية في عهد أوباما وكذا النفوذ الإيرانـــي على تُخُوم المملكة، ما يعني أن التدخل السعـــودي أصبح أمرًا حتميًا حتّى لا يتحول اليمن الى لبنان جديد.

ومما يزيد من صعوبة مهمة السعـــودية وحلفائها في المستنقع اليمني طبيعة التركيبة الديمغرافية والاقتصادية التي تتميّز بها اليمن، إذا يضم اليمن الكثير من العشائر غير المتوافقة، ناهيك أن المجتمع اليمني يتميّز بخصوصيتين، **أولهما** حالة الفقر والأمية التي يعانيها أغلب السكان، و**ثـــانـــيها** نسبة الأسلحة الموجودة تحت أيدي الأفراد والعشائر، إذ يضم اليمن أكبر نسبة حيازة أسلحة نارية تحت ايدي المدنيين في العالم. هذا إضافة إلى الانقسام الطائِفي بين السُّنّة والشّيعة الذي تغذيه الأطراف الخارجية.

والحقيقة، أن اليمن يشكّل من الناحية الجيوبوليتيكية والجيوستراتيجية موقعًا جيّدًا لضرب العمق الاستراتيجي السعـــودي أو اختراق الجزيرة العربـــيّة. حيث يشكل اليمن ظهر السعـــودية غير القابل تمامًا لأنّ يكون غير مُأمنًا، وتدل هنا ما يشاع عن مقولة الملك المؤسس عبدالعزيز آل سعود لبعض لأولاده (سعود وفيصل) وهو على فراش الموت "**عزّكم من ذل اليمن وذلّكم في عز اليمن**"، على الأهمية الاستراتيجية لليمن من منظور السعـــوديين لذا فقد رمت الرياض بكل ثقلها فيه وتدخلت عسكريًا.

ويعتقد السعـــوديون أن الحوثيين هم بمثابة ذراع لإيـــران في اليمن تحاول منه خلال نشر التشيُّع وزرع البلبلة في المنطقة، وما الهجومات التي يشنها الحوثيون سوى حرب بالوكالة لصالح إيـــران. لكنّ يجب الانتباه هنا إلى أن وضع الزيديين يختلف عن شّيعة البحرين أو حتّى لبنان، فهم كما يرى **رضوان السيد**، لا يملكون علاقات سابقة مع إيـــران في التاريخ الحديث، وبينم وبين إيـــران الاثنا عشريّة حساسيات عقائدية وثقافية في الأزمة القديمة والوسيطة، وحتّى في القرن العشرين مازلنا نجد في كتبهم جدليات عقدية بينهم وبين الاثنا عشريّة تشبه تلك الجدليات الموجود بين السُّنّة والشّيعة [24].

أمّا البحرين أصغر دولة عربـــيّة وخليجية مساحةً وأقلها سكانًا، فقد انتصرت فيه الارادة السعـــودية في المحافظة على منظومة الممالك الوراثية، وتعبر المسألة البحرينية من أقدم ساحات الصـــراع والتنافس بين السعـــودية وإيـــران، ففي أيام الشاه كان هذا الأخير يعتبر البحرين تاريخيًا محافظة إيرانـــية سيطر عليها البريطانيون في فترة ما وينبغي استردادها، في حين يعتبر نظام الملّالي البحرين دولة يُضطهد فيها الشّيعة وهم الأكثير على يد نظام سُنّي على غرار ما كان حاصلًا في العراق. ومن الناحية الاستراتيجية تملك مملكة البحرين أهمية كبيرة في الخليج العربـــيّ – الفارســـي، حيث تقع هذه الجزيرة الصغيرة المتكونة من أرخبيل من 33 جزيرة ضمن مياه الخليج أَي أنّها تشكّل مكانًا استراتيجيًا وتهديدًا في نفس الوقت للدول الخليجية الثمانية، سواءً من الناحية العسكرية أو من الناحية الاقتصادية. وتدرك كل من إيـــران والسعودية هذا الأمر جيّدًا.

والواقع، يشير أنّه لطالما كانت طهران والرياض تشعران بالقلق إزاء تأثير أحدهما على هذه الأرخبيل. لهذا، نجد السعـــودية ومن خلفها قوات مجلس التعاون الخليجي (قوات درع الجزيرة) سارعت إلى انقاذ نظام آل خليفة الحاكم عبر جسر الملك فهد ودخلت المنامة لفك ما أعبرته حالة تمرد ضد النـــظام الحاكم (آل خليفة). علاوة على ذلك، فإنّ التدخل السعـــودي في البحرين خنق الزخم الموجود في الإقليم الشرقي السعـــودي الغني بالبترول لا سيما والأقليّة الشّيعية المضطربة قد سعى إلى تكرار ما حدث في البحرين.

وتوفر حالة البحرين مجالًا غنيًا لتحليل العلاقة الصراعية بين طهران والرياض على أسس أيديولوجية وجيوسّياسية. أين تعتبر مملكة البحرين بؤرة حرمان طائِفية في الخليج، ذلك أن أكثر 70% من السكان هم من العرب الشّيعة الاثنا عشريّة، وهم يعتبرون نفسهم السكان الأصليين للبحرين حيث يطلقون على أنفسهم تسمية البحارنة. في المقابل، هناك السُّنّة الذين يطلق عليه تسمية البحرينيين. وهو منقسمون بين عرب وبعض الأسيويين المجنسين. علاوة على هذا تضم البحرين العديد من ذوي الأصول الإيرانـــية (الهُوِلَة). كما تعتبر عائلة آل خليفة الحاكمة سُنّية من حيث المذهب، وقد استطاعت هذه العائلة أن تحكم الجزيرة من أزيد من قرنين من الزمن

(1765 –) بعد هجرتها من جنوب نجد إلى البحرين، كما تتمتع بعلاقات تاريخية قوية مع السعـــودية ومع أسرة آل سعود.

ويوفر الموقع الجغرافي للبحرين فرصة لزيادة المنافسة الجيوسّياسية في بين إيـــران والسعـــودية. وقد اعتبرت السعـــودية الإطاحة بالنـــظام البحريني خطرًا مباشرًا عليها حيث سيغيّر من منظومة الحكم المشيخي في الخليج، كما أن سقوط هذا النـــظام السُّنّي ينذر بقيام نـــظام شِّيعي أخر موالي لإيـــران، ما يعني أن الأهمية الاستراتيجية لآل خليفة بالنسبة للمملكة أمرٌ غير قابل للتفاوض أو التفكير، لا سيما أن البحرين تقع فقط على بعد حوالي 16 كيلومترا من السعـــودية، وهي قريبة جدًا من المنشآت النِّفطية الرئيسية السعـــودية وطرق ناقلات النِّفط السعـــودي. كما أن الشِّيعة العرب البحرينيين يتمتعون بعلاقات وثيقة مع شِّيعة السعـــودية.

إضافة إلى هذا، يتملك القلق السعـــوديين لسبب آخر وجيه، فعدوتهم اللدودة إيـــران مازالت من أمد طويل ترى في البحرين جزءً منها وتطالب بحقها التاريخي فيها، وعلى هذا أقامت علاقات جيّدة مع شِّيعة البحرين. استنادًا على هذا، كان تصرف السعـــودية سريعًا وحاسمة حيال ما يقع في المنامة، ورمت الرياض بثقلها العسكري والمالي في هذه المسألة، ففي: 15 مارس 2011، أرسلت المملكة جنودًا يقدر عددهم 1200 جندي سعـــودي و800 جندي إماراتي تحت لواء قوات درع الجزيرة ـــ حسب صحيفة النيويورك تايمز ـــ [25] إلى البحرين لقمع "ثورة ساحة اللؤلؤة"، وقد ساعدها في النجاح في ضمان استمرار نـــظام آل خليفة عاملين (02) أساسين: يتمثل الأول في التدخل السريع للحلف السعـــودي، أمّا الثـــاني فيتمثل في مساندة الجيش البحريني للنـــظام، ولعل هذا العامل الأخير يبدو منطقيًا، ففي البلدان التي يمثل النـــظام الحاكم أقليّة سواءً كانت أثنية أو طائِفية أو مناطقية، كما يشير **غوز** واستطاع أن يخلق جيشًا تهيمن عليه تلك الأقليّة، تمضي الجيوش شوطًا كبير في مساندة أنظمتها، ففي البحرين ذات الغالبية الشِّيعية، وقفت قوات الأمـــن البحرينية التي يمسك الأقليّة السُّنّية بقيادتها في وجه المتظاهرين، نفس الحالة في سورية أين يمسك العلويون بزمام الجيش، في بلد ذو أغلبية سُّنّية [26].

في حين تبقى الأزمة السورية الأكثر إثارة للجدل والأكثر أهمية حيث سيحدد لنا مصير الأسد ونظامه الخطوط العريضة للخارطة الإقليمية الجديدة، لا سيما أن إيـــران تبدو في موقع الرابح في هذه الحرب الجديدة في الشرق الأوسط والسعـــوديون على خط الدفاع، خصوصًا بعد سقوط نـــظام مبارك، الذي شكل انتكاسة لجهود مجابهة النفوذ الإيرانـــي. لهذا السبب باتت سورية محورية بالنسبة للسعـــودية، أين رمت الرياض ـــ منذ بداية عام 2012 ـــ بكامل ثقلها في الأزمة السورية.

بيد أن الموقف السعـــودي حيال سورية يبدو ضعيفًا مقارنة بالإيرانـــي الذي وجد مساندةً من القوى الكبرى وبالأخص روسيا، التي تدخلت بشكل مباشر في سورية، بينما بدى الموقف الأمريكي تعتريه الكثير من الضبابية ما أربك حلفائهم السعـــوديين الذي كانوا يعولون كثيرًا على تدخل أمريكي لإسقاط نـــظام الأسد، لكنّ الولايات المتحدة الأمريكية لحد الساعة (إدارة أوباما وترامب) لا تمتلك استراتيجية واضحة تجاه نـــظام الأسد، وقد شهدت عدة تحولات في موقفها من مغادرة السلطة بالنسبة للأسد إلى أهمية إدماجه في أيّة مفاوضات مستقبلية، ويمكن قراءة هذه الاستراتيجية الأمريكية المتذبذبة تجاه سورية التي كانت تصنفها الإدارة الأمريكية إلى

وقت قريب ضمن دول الممانعة والداعمة للإرهاب (محور الشر)، على أنّها تقع في إطار السّياسة البراغماتية. حيث تمثلت بالسماح للقوى الإقليمية بالتدخل بين الأطراف المتصارعة، وتقديم الدعم الإنساني الرمزي، والتردد في توفير أسلحة مضادة للطائرات إلى المعارضة. أثّرت هذه الاستراتيجية لا محال في الموقف السعـــودي الراغب في رحيل النـــظام إلى الآبد [27]، حيث بدى الموقف السعـــودي مهلهلًا وبدون غطاء أو دعم دولي قوي، لا سيما أثناء جنيف 2 والخلاف السعودي- الأميركي حوله.

إنّ مستقبل ونتيجة المسألة السورية يمكن اعتبارهما بدون مبالغة من سيحددان نتيجة الربيـــع العربـــيّ باعتباره متغيّرًا في الصـــراع، فإذا ما سقط النـــظام السوري، فسوف تتأثر إيـــران لا محالة بشدة، كما سيكون توازن القوى بين إيـــران والمملكة العربـــيّة السعـــودية لصالح هذه الأخيرة. في حين قد نشهد انكماشًا لدور إيـــران الإقليمـــي، أمّا نجاح النـــظام السوري في الاستمرار فإنّ هذا بالضرورة يصب في مصلحة الجانب الإيرانـــي الذي سيتقوى أكثر.

خاتمة:

استنادًا على كل ما قيل يتضح لنا أن أول نتائج أحداث الربيـــع أنّها قسمت العالم العربـــيّ المنقسم أصلًا بين مجموعتين أساسيتين الأولى مع الأحداث وداعمها لها والثانـــي العكس، تتوسطها مجموعة ثالثة، تقف على الحياد. كما أن حصل في العالم العربـــيّ من أحداث ابتداءً من نهاية عام 2010 والتي مازالت تداعيتها مستمرة حتّى الآن نتج عنها خلل كبير على عدة مستويات، لعل أبرزها من الناحية السّياسية ذلك الشرخ على مستوى الأحلاف السّياسية القديمة والخارطة السّياسية الشرق أوسطية حيث سقطت أنظمة سّياسية وحلت محلها أخرى، في حين مازال البعض منها يقاوم.

إنّ هذا الشرخ والخلل المفاجئ وغير المتوقع يمكن اعتباره السبب الأساسي في ما يحدث من تنافس وصراع بين القوتين الإقليميتين إيـــران والسعـــودية ذلك أن ما وقع من تغيُّرات لم تتماشى دائمًا مع مصالح وأهداف هاتين القوتين الإقليميتين، ناهيك عن القوى العالمية، وعلى هذا الأساس، نجد كل من المملكة والجمهورية يجتهدان بكل الطرق والأساليب المشروعة وغير المشروعة من أجل ضبط نتائج هذه الأحداث وفق رؤيتهما ومصالحهما أو على الأقل العودة إلى الوضع القديم (ما قبل الربيـــع).

كما أن الصـــراع الإيرانـــي – السعـــودي ضمن الربيـــع العربـــيّ هو في الحقيقة صـــراعٌ على البقاء والاستمرار وعلى الهيـــمنـــة والنفوذ، إنّه صـــراعٌ سّياسي تستعمل فيه كل الأوراق والسبل السّياسية والعسكرية والدِّينية والاقتصادية، إنّه على ذلك لا يتعلق بكل ما يروج له في الإعلام من ثورات الحرية والديمقراطية. كما أن الربيـــع العربـــيّ كشف لنا بصورة جلية حِدَّة وعمق الصـــراع بين طهران والرياض، فكل طرف أصبح يعتبر مسألة فشله في هذه المعركة بمثابة خسارة للحرب. وبالتّالي، فإنّ الطرفان يعتبران تدخلها بمثابة الحرب الاستباقية للحفاظ أولًا على بقائهما ومن ثم مصالحهما وحلفاؤهما، أين كسرت المعركة الإيرانـــية – السعـــودية الناتج عن الربيـــع العربـــيّ كل الخطوط الحمر وكل الطابوهات، وأصبح المعركة والصـــراع على المكشوف. إنّ الأمر ليعد خطيرًا جدًا على مستقبل المنطقة في ظل استمرار النظامين على رؤيتهما.

الهوامش:

(1) عبد الإله بلقزيز، **ثورات وخيبات : في التغيير الذي لم يكتمل**، (بيروت: منتدى المعارف، 2012)، ص ص 19-20.

(2) سمير أمين، **ثورة مصر**، (القاهرة: دار العين، 2011)، ص 15.

(3) هاشم صالح، **الانتفاضات العربـــيّة على ضوء فلسفة التاريخ**، (بيروت: دار الساقي، 2013)، ص ص 13- 14.

(4) علي حرب، **ثورات القوة الناعمة في العالم العربـــيّ: من المعلومة إلى الشبكة**، ط2 (بيروت: الدار العربـــيّة للعلوم- ناشرون، 2012)، ص ص 25-33.

(5) جيمس بتراس، **الثورة العربـــيّة والثورة المضادة أمريكية الصنع**، ترجمة: فاطمة نصر (القاهرة: سطور الجديدة، 2012)، ص ص 31- 42.

(6) محمد صالح صديقيان، "إيـــران والمتغيرات الجيوستراتيجية في الوطن العربـــيّ وجهة نظر إيرانية"، ضمن: أحمد سعيد نوفل [وآخرون.]، **التداعيات الجيوستراتيجية للثورات العربـــيّة**، (الدوحة: المركز العربـــيّ للأبحاث ودراسة السّياسات، 2014)، ص 586.

(7) Shahram Chubin, "Iran and the Arab Spring: Ascendancy Frustrated", (GRC GULF PAPERS), **Gulf Research Center**, 2012, p 8.

(8) طلال عتريسي، "الأهداف والمصالح الإيرانـــية في النظام العربـــيّ بعد الثورات"، ضمن: أحمد سعيد نوفل [وآخرون.]، **التداعيات الجيوستراتيجية للثورات العربـــيّة**، (الدوحة: المركز العربـــيّ للأبحاث ودراسة السّياسات، 2014)، ص ص 347-348.

(9) محمد عباس ناجي، "الانكماش: مستقبل الدور الإقليمـــي لإيـــران بعد الثورات العربـــيّة"، (دراسات) **السّياسة الدولية**، 06 أكتوبر2011، شوهد في 17يوليو2017، في: <http://bit.ly/2uAJMmi>

(10) **التقرير الاستراتيجي نصف السنوي الثاني**، (مركز الخليج العربـــيّ للدراسات الإيرانـــية، يونيو 2017)، ص123.

(11) توبي ماثيسن، **الخليج الطائِفي والربيـــع العربـــيّ الذي لم يحدث**، ترجمة: أمين الأيوبي (بيروت: الشبكة العربـــيّة للأبحاث والنشر، 2014)، ص9

(12) بول ارتس وكارولين رولانتس، **العربـــيّة السعـــودية: مملكة في مواجهة المخاطر**، ترجمة: ابتسام الخضرا (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربـــيّة، 2016)، ص 172.

(13) أحمد سعيد نوفل [وآخرون.] ، **التداعيات الجيوستراتيجية للثورات العربـــيّة**، (الدوحة: المركز العربـــيّ للأبحاث ودراسة السّياسات، 2014) ، ص ص 30.

(14) مضاوي الرشيد، "المأزق الداخلية في السعـــودية والاستجابات الإقليمية للانتفاضات العربـــيّة"، ضمن: فواز جرجس (تحرير)، **الشرق الأوسط الجديد الاحتجاج والثورة والفوضى في الوطن العربـــيّ**، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربـــيّة، 2016)، ص315.

(15) عبد الحليم خدام، **التحالف السوري الإيرانـــي والمنطقة**، (القاهرة: دار الشروق، 2010)، ص73.

(16) مضاوي الرشيد، "السعـــودية ومثلث الثورات"، **صحيفة وطن يغرد خارج السرب**، 05 أغسطس 2012 ، شوهد في 15 مارس2016، في: <http://bit.ly/2LgxTMQ>

(17) بول ارتس وكارولين رولانتس، **المرجع السابق**، ص ص 133-134.

(18) Amin Saikal,"Iranian–Saudi Relations in a Changing Regional Environment", in: Amin Saikal (Eds), **The Arab World and Iran A Turbulent Region in Transition**, (New York: Palgrave Macmillan, 2016), pp 165-166.

(19) محمد عباس ناجي، **المرجع السابق**.

(20) هيو تومليسون، "السعـــوديون اشترطوا على أوباما عدم إهانة مبارك"، **راقب**، 10فبراير2011، شوهد في 15مارس2016، في: <http://bit.ly/2uhzZCg>

(21) محمد غانم الرميح، "تداعيات الربيـع العربـيّ على الأمـن في الخليج"، ضمن: مجموعة باحثين، **الأمـــن الوطني والإقليمي لدول مجلس التعاون لدول الخليج العربـيّة – رؤية من الداخل – تحديات الحاضر واستراتيجيات المستقبل**، (المنامة: مركز البحرين للدراسات الاستراتيجية والدولية والطاقة، 2015)، ص63.

(22) Maryam Jamshidi, **The Future of the Arab Spring. Civic Entrepreneurship in Politics, Art, and Technology Startups,** (Oxford: Elsevier Inc, 2014), p11.

(23) رضوان السيد، **العرب والإيرانيون والعلاقات العربـيّة– الإيرانـية في الزمن الحاضر**، (بيروت: الدار العربـيّة للعلوم ناشرون، 2014)، ص150.

(24) **المرجع نفسه**، ص156.

(25) Ethan bronner & Michael slackman,"Saudi troops enter Bahrain to help put down unrest", **THE NEW YORK TIMES**, 14/03/2011, accessed on 18/02/2018, at: <https://nyti.ms/2NfI4yf >

(26) ف.غريغوري غوز الثالث، "لماذا أغفلت دراسات الشرق الأوسط الربيـع العربـيّ؟ خرافة استقرار الأنظمة الاستبدادية"، **مجلة المستقبل العربـيّ**، العدد 392 (تشرين الأول /أكتوبر 2011)، ص150.

(27) عدنان هياجنة، "الاستراتيجية الأمريكية تجاه تحديات الأمـن الإقليمـي لدول الجوار الخليجي: بين الثابت والمتغيّر"، **دراسات**، المجلد 2، العدد 1 (2015)، ص149.